جامعة باجي مختار– عنابة

Université Badji Mokhtar – Annaba

كلية العلوم الإقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

Faculté des Sciences Economiques et commerciale et Sciences de gestion

قسم الجذع المشترك

المحاضرة السادسة في مقياس تاريخ الفكر الإقتصادي:

الفكر الإقتصادي عند الفيزيوقراط (الطبيعيون)

من إعداد الأستاذة نوي حياة

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك (كل المجموعات)

السنة الجامعية: 2025/2024

تمهيد:

ظهرت مدرسة الطبيعيين في فرنسا في منتصف القرن 18م على يد مجموعة من الإقتصاديين وعلى رأسهم الدكتور الجراح (فرانسوا كيناي) طبيب لويس الخامس عشر، ولم تدم هذه المدرسة أكثر من خمس وعشرين سنة من سنة 1756 – 1778 م، وكان المفكرون الطبيعيون هم أول من رفض الفلسفة الماركنتيلية تماما بناء على اقتناع فكري ورد فعل لما حدث في فرنسا من جراء تطبيقها.

I. أسس الفكر الإقتصادي للفيزيوقراط:

1- فكرة النظام الطبيعي:

يرى الطبيعيون ان الظواهر الاقتصادية تخضع كما تخضع الظواهر الطبيعية والبيولوجية لقوانين الطبيعة لا دخل لإرادة الإنسان في ايجادها، وهذه القوانين تحكم كافة مظاهر الحياة الاقتصادية وتقوم على مبدأين هامين هما اللذان يوجهان نشاط الأفراد ويكفلان استمرار الحركة والتقدم وهما:

- **مبدأ المنفعة الشخصية:** فكل شخص يهتدي في تصرفاته الاقتصادية بما يحقق منافعه الشخصية، فالمنفعة الشخصية بذلك هي الحافز الذي يحث الناس على النشاط الاقتصادي والقوة التي توجههم لمباشرة هذا النشاط.
- **مبدأ المنافسة:** كل فرد يسعى لتحقيق منافعه الشخصية ولكنه حين يفعل ذلك يدخل في تنافس مع بقية الأفراد في المجتمع، فيحد ذلك من انطلاق كل فرد في تحقيق منافعه على حساب الآخرين.

2- الخصائص الرئيسة للقوانين الطبيعية:

- أنها مطلقة لا استثناء لها وكل محاولة من الفرد لعدم تطبيقها يكون جزاءه الحاق الالم به فيضطر الى الرجوع اليها.
- أنها عالمية تطبق في كافة البلاد بغض النظر عن ظروف كل بلد وخصائصه التي تميزه عن غيره.
- انها لا تتغير فهي ازلية ابدية لا يلحقها التعديل او التبديل.
- انها قوانين إلهية، بمعنى ان الله هو الذي فرضها وحتمها.

3- مفهوم الثروة والإنتاج عند الطبيعيين:

بين الطبيعيون أن ثروة الأمم إنما تكون بما تقوم به من إنتاج، فالإنتاج هو كل عمل يخلق ناتجا صافيا جديدا بأن يضيف مقدارا من المواد أكثر من تلك التي بذلت في الإنتاج. وعلى أساس تعريف الإنتاج، استخلص الطبيعيون أن الزراعة هي وحدها النشاط الإقتصادي الذي يعتبر منتجا، لهذا فقد أولى الطبيعيون عنايتهم للزراعة بصورة خاصة وبينوا أنها هي وحدها التي تولد فائضا في الإنتاج يزيد عن التكاليف التي انفقت فيه، فهذا الفرق بين قيمة الإنتاج والتكاليف، كان قد دعاه الطبيعيون **بالناتج الصافي**، وعن هذا الناتج الصافي يتولد الثراء في البلد. لذا فإن **الزراعة هي الحرفة المنتجة** لأنها تولد هذا الناتج الصافي، أما الحرف الأخرى كالتجارة والصناعة فليستا من النشاط الإقتصادي المنتج لأنهما يقتصران على تحويل أو نقل المواد التي كانت موجودة من قبل دون أن تضيفا مواد مادية جديدة أو ناتج صافي جديد.

ومن ناحية أخرى، فإن نظرة الطبيعيين للحياة كانت نظرة تفاؤلية، ذلك لأنهم اعتقدوا أن الناتج الصافي او الفائض في الإنتاج كان قد تولد عن عمل الطبيعة وليس عن عمل الإنسان، فالطبيعة بحسب اعتقادهم تعمل حتى عندما يكون الإنسان نائما، لذا فإن ناتج عملها هذا هو هبة من الطبيعة إلى الإنسان.

4- فكرة الجدول الإقتصادي:

تعود هذه الفكرة للدكتور **فرانسوا كيناي** والتي إستعارها من تداول الدم في الجسد الإنساني، لتبيان كيفية توزيع الناتج القومي بين طبقات المجتمع، والتي عرفها كما يلي:

- **طبقة المزارعين**: وهي **الطبقة الوحيدة المنتجة**، لأنهم يحققوا منتجا صافيا.
- **طبقة الملاك**: وهي **طبقة غير منتجة**، ولكنها حظيت بدفاع كبير من قبل الفيزيوقراط، وتركز دفاعهم في كون الملاك هم من يقومون بالإنفاق على الأرض لتحسينها وإعدادها للزراعة، وإذا لم يقموا بذلك فإن الناتج الصافي سوف يختفي، وبناء على ذلك يجب أن يحصلوا على جزء من الناتج الصافي على شكل ريع.
- **طبقة الصناع والتجار**: وهي **الطبقة العقيمة**، تتلقى قسما من الغلة الصافية، وهذا القسم يجب أن يعود إلى الطبقتين السابقتين.

ويعتبر هذا الجدول الإقتصادي أول تحليل لدورة الدخل والإنتاج في إطار كلي، حيث يرى كيناي أن السلع تنتقل داخل النظام الإقتصادي بطريقة معينة وتتم الدورة السلعية عندما تعود قيمة السلع إلى منتجها وأنه لا يوجد ما يدعو إلى اختلال هذه الدورة تلقائيا، وأي اختلال يكون مصدره خارج النظام الإقتصادي.

ولكن يلاحظ أن هذا الجدول قد تجاهل دور السلع داخل الطبقة الواحدة، كما أنه افترض تباث أسعار المحاصيل الزراعية، بالإضافة لافتراضه إنتاج نفس الناتج الصافي من الزراعة عاما بعد عام.

5- رفض الفيزيوقراط تدخل الدولة في الحياة الإقتصادية، ودعوا إلى تقييده ضمانا للحرية الفردية في التملك والعمل دون المساس بحرية الآخرين.

6- دعا الفيزيوقراط إلى **حرية التجارة الداخلية والخارجية**، وبهذا يكون الفيزيوقراط هم أول من عارض السياسات التجارية التدخلية بشكل تام ودعوا إلى اتباع سياسة الإقتصاد الحر.

7- فيما يخص **الضرائب**، فبما أن الناتج الصافي هو أساس الثروة وبما أن طبقة ملاك الأراضي هي من يتلقى هذا الناتج، فقد طالب الفيزيوقراط بأن تفرض الدولة ضريبة واحدة يدفعها ملاك الأراضي دون غيرهم من الطبقات، مع إلغاء كل أنواع الضرائب الأخرى.

II. تأثير آراء المدرسة الطبيعية في الفكر الاقتصادي:

لقد ترتب على الآراء التي نادى بها الطبيعيون نتائج هامة في ميدان الفكر وميدان الواقع، وكان من النتائج ما يلي:

1- لم يعد ينظر للنقود باعتبارها ثروة كما كانت الحال عند التجاريين بل اعطيت الاهمية كما يجب أن يكون الوضع الصحيح للإنتاج.

2- أدت آراء الطبيعيين الى تخفيف القيود التي كانت مفروضة على النشاط الاقتصادي في ظل التجاريين.

3- إن الطبيعيون هم الذين أسسوا المذهب الفردي أو المذهب الحر الذي ساد حتى منتصف القرن العشرين، لأنهم هم الذين نادوا بان النشاط الاقتصادي يجب أن يترك بصفة أساسية للأفراد يديرونه طبقا لمصالحهم الشخصية وعلى اساس ما يقوم بينهم من منافسة.

4- كان الطبيعيون أول من اعطى صورة عن دورة الناتج الكلي وانتقاله داخل البلاد في مجموعه وعن كيفية توزيعه بين الطبقات المختلفة.

III. نقاط الضعف في آراء المدرسة الطبيعية:

1- كانت فكرتهم عن الإنتاج قاصرة ومحدودة وذات طابع مادي، لأنهم اعتبروا العمل المنتج فقط الذي يكون خالقا لمادة جديدة، وأن العمل الإنتاجي الوحيد هو الزراعة. في حين أن الإنتاج هو كل خلق لمنفعة جديدة او زيادة لمنفعة موجودة من قبل، والمنفعة هي كل اشباع لحاجة انسانية، وعلى ذلك فالصناعة والتجارة اعمال منتجة كالزراعة تماما.

2- وقد ترتب على خطئهم في تحديد فكرة الإنتاج ان رتبوا عليها خطأ آخر، حيث نادوا بفرض على ضريبة واحدة على المنتجات الزراعية، في حين الصناعة والتجارة تخلقان ناتجا صافيا كذلك، ولذلك يجب ان تفرض على ناتجهما الصافي ضريبة كتلك التي تفرض على ناتج الزراعة.

3- إهمال الصناعة، حيث انتشرت الدعوة في فرنسا في ظل الطبيعيين الى العودة الى الحياة الزراعية وبالتالي حرمان البلد من التقدم الصناعي وكل ما يترتب عليه من تطور ومزايا.

4- لا يخضع الاقتصاد السياسي لقوانين طبيعية ثابتة مطلقة عامة كتلك التي تخيلها الطبيعيون، فالظواهر الاقتصادية تتغير وتتطور تبعا لها القوانين التي تحكمها، فالقوانين التي تحكمها الظواهر الاقتصادية في مجتمع اقطاعي غير التي تحكمها في مجتمع صناعي متقدم.

5- كذلك يؤخذ على الطبيعيين تفاؤلهم الكبير واعتقادهم ان القوانين الطبيعية ما دامت من خلق الله، فقد اثبتت الأيام بعدئذ مدى سذاجة هذا التفاؤل الشديد، فقد ترك النشاط الاقتصادي حرا وكفلت المنافسة بين الأفراد طبقا لما نادى به الطبيعيون، ومع ذلك لم تسر الحياة الاقتصادية وفقا للقوانين الطبيعية بما يحقق رفاهية الكثير من الأفراد وبما يحقق اكبر مصلحة للمجتمع.